

في التنوير الإسلامي

(٣١)

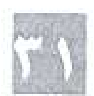
الدين والتراث والحداثة والتنمية والحرية

تأليف:

د. محمد خاتمي



في التنوير الإسلامي



الدين والتراث والحداثة والتنمية والحرية



تأليف :
د . محمد خاتمي





اسم الكتاب: الدين والتراث والحداثة والتنمية والحرية

اسم المؤلف: د / محمد خاتمى

تاريخ النشر: فبراير ١٩٩٩م . (طبعة أولى)

رقم الإيداع: ١٧٣٧ / ١٩٩٩م .

الترقيم الدولى: I . S . B . N 977 - 14 - 0901 - 8

الناشر: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع .

المركز الرئيسى: ٨٠ المنطقة الصناعية الرابعة .
مدينة السادس من أكتوبر .
ت: ٣٣٠٢٨٧ / ٠١١ (١٠ خطوط)
فاكس: ٠١١/٣٣٠٢٩٦

مركز التوزيع: ١٨ ش كامل صدقى - الفجالة - القاهرة
ت: ٥٩٠٩٨٢٧ = ٠٢/٥٩٠٨٨٩٥
فاكس: ٠٢/٥٩٠٣٣٩٥ ص.ب: ٩٦ الفجالة .

إدارة النشر: ٢١ ش أحمد عرابى - المهندسين - الجيزة
ت: ٣٤٦٦٤٣٤ - ٠٢/٣٤٧٢٨٦٤
فاكس: ٠٢/٣٤٦٢٥٧٦ ص.ب: ٢٠ إمبابة .

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

صاحب هذا الكتاب لم يعد في حاجة إلى تعريف . . فهو الدكتور محمد خاتمي ، رئيس الجمهورية الإسلامية الإيرانية ، والذي أحدث اختيار الشعب الإيراني له ـ بأغلبية كبيرة ـ هزات وتساؤلات وتنبؤات وتطورات في الحياة الداخلية بإيران ، وفي العلاقات الإيرانية بدول الجوار والمحيط ـ العربي والإسلامي ـ وفي العلاقات الإيرانية ـ الدولية ، لاتزال متنامية حتى الآن . .

والدكتور خاتمي ، لقبه المفضل والأشهر «سيد» محمد خاتمي ، لأنه ـ وفق التقاليد الشيعية ـ من «السادة» ، أي آل بيت رسول الله ، ﷺ . . ولد سنة ١٩٤٣م بمدينة «أردكان» ، في أسرة متدينة ، لوالد هو آية الله روح الله خاتمي . . وجمع في دراسته بين أصول الفقه والفلسفة والتربية . . وشملت اهتماماته علوم الحديث وفلسفة هيجل وماركس . . وإلى جانب الفارسية ألم باللغات العربية والانجليزية والألمانية . . ولأنه قد جمع بين الثقافة الدينية والثقافة المدنية ، عندما تعلم في «الحوزة» العلمية بمدينة «قم» الإيرانية ، ودرس في جامعة طهران ، وتخرج منها . . فلقد تميزت رؤيته الفكرية بالأصولية الدينية المستنيرة ، ورؤية الحضارة الحديثة ، بتياراتها الفلسفية والاجتماعية والثقافية المتعددة . فهو يرى العالم من موقع العالم الديني ، ويرى التراث الديني من موقع المثقف المتفتح على ثقافات العالم ، وبذلك تميزت وتتميز رؤيته الفكرية

عن أولئك الذين أصابهم «العور الفكرى» ، فلا ينظرون إلا بعين واحدة : عين «الموروث» وحدها . . أو عين «الوافد» دون سواها! . .

لذلك كان الرجل نموذجا «للإسلامى» الذى لا يخاصم العالم ، و«للعالمية» المنظور إليها من خلال حضارة الإسلام .



أما الدراسات الثلاث التى نقدمها ـ للدكتور خاتمى ـ فى هذا الكتاب ، فهى ـ فى الأصل ـ ثلاث محاضرات ألقاها فى «لبنان» ـ قبل أن يصبح رئيسا للجمهورية الإيرانية .

أولاهــا: عن (الدين والعصر) .

والثانية: عن (التراث والحداثة والتنمية) ـ ألقاهما فى شهر ديسمبر سنة ١٩٩٦م .

والثالثة: عن (التنمية والحرية) ـ ألقاها فى صيف سنة ١٩٩٥م .

ولقد اخترنا هذه المحاضرات الثلاث من بين عدد أكبر من محاضرات الدكتور خاتمى[1] ـ لأن موضوعاتها من أكثر الموضوعات حساسية وإثارة للجدل بين تيارات الفكر فى وطن العروبة وعالم الإسلام . . ولأن هذه المحاضرات هى من بين ما ألقاه الدكتور خاتمى خارج إيران ، **ففيها كان خطابه لجمهور مفكرى الأمة ومثقفيها، وليس. كمحاضرات له أخرى. ألقيت فى إيران فجاءت محكومة بالموروث الشيعى وحده. أو أكثر من غيره. وموجهة إلى**

---

(١) ولقد سبق ونشرت هذه المحاضرات ، ضمن كتاب عنوانه (مطالعات فى الدين والإسلام والعصر) ، قدم له السيد محمد على أبطحى ، وطبعته دار الجديد سنة ١٩٩٨م .

جمهور الشيعة دون غيرهم، أو قبل غيرهم من المفكرين والمثقفين فى عالم الإسلام ..

لذلك، سيجد القارىء لهذه الدراسات نفسه أمام عالم إسلامى، لا يحبسه مذهب، ويخاطب الأمة، لا شعبا بعينه، ولا دولة قطرية بذاتها.. كما سيجد القارىء نفسه بإزاء مصلح إسلامى، ملتزم بأصول الإسلام، وبمنظاره يرى العالم بأسره، كما يرى الإسلام فى ضوء القضايا والتحديات العالمية التى تواجه الإسلام والمسلمين.



ورغم أن أهمية الأفكار والقضايا التى تناولها الدكتور خاتمى فى هذه الدراسات . . والوضوح الذى امتاز به عرضه لهذه القضايا ، يغرينا بأن ندع القارىء وجها لوجه مع هذه الدراسات ، ودون مقدمات . . إلا أن قليلا من الأضواء على الموقع الفكرى للدكتور خاتمى ، وعلى القضايا التى تناولها فى هذه الدراسات قد يكون ضروريا فى التعريف ، وفتح الأبواب لجمهور القراء . .

● فالدكتور خاتمى يضع نفسه ـ كما يضعه فكره ـ فى «**المدرسة الإصلاحية الإسلامية**» . . لكنه يتميز بين رجالات الإصلاح الإسلامى بالانتماء إلى «**المذهب العرفانى**»، الذى يعتمد فى تحصيل الحقيقة الدينية ـ وليس فى دراسة الكون والاجتماع والسياسات ـ على «**القلب**»، القادر على «**الوصول**» إلى المطلق واليقين . . ولكن دون نبذ «**للعقل**»، الذى هو سبيل الوصول إلى أصل الوجود الغيبى ، وبه تتيسر الحياة . . فعنده «**أن السبيل المطمئن لمعرفة الله عز وجل، هو طريق الوصول لا الفهم، وطريق**

القلب لا العقل. هو الطريق الذى أكدته الأديان بقوة. ولقد علّمنا أئمة الإسلام بأن «العقل ما عُبد به الرحمن واكتُسب به الجنان» وهذا يعنى أن العقل هنا هو مصدر عبادة لا مصدر فهم. وفى قول اخر، رأوا العبادة سبيلا إلى اليقين، وليس الانتقال من المقدمات المعلومة إلى النتيجة المجهولة، ودليل هذا ما جاء فى القرآن الكريم: ﴿ واعبد ربك حتى يأتيك اليقين ﴾[1] وهذا يعنى أن الطريق المطلوب للمعرفة الدينية الإلهية هو طريق الوصول لا الفهم.

وهذا، بطبيعة الحال، لا يعنى، بأى وجه، التنكر لقوة العقل والمعرفة الفلسفية والعملية، وخاصة فى الإسلام، الذى اهتم إلى حد بعيد، بالعقل وبالتدبر، ولكن لابد من معرفة حدود كل بُعد من أبعاد روح الإنسان، ومن أراد أن يكون مؤمنا صادقا فلابد له من سلوك طريق القلب[2]... إن العقل هو المشترك بين الناس. وهو لا يستطيع إيصالنا إلى الحقيقة المطلقة.. ونحن لا نستطيع بلوغ الكنه المطلق بالعقل، وقد ذكر العارفون أن ما يُفهم من العقل كمصطلح يقوم بهذا الفهم فى المطلق. هو القلب، لا العقل.

وهنا تعرض مسألة دقيقة لابد من جلائها. فنحن إما أن نُبقى على سلطان العقل من البداية، وإما أن نضعه ونضع الإيمان فى مقابله، فيأخذ هذا الإيمان الموضوع مقابل العقل فى توجيه الإنسان أولا فأولا نحو الإيمان الكلى، ومن هنا يكون السلطان للقلب، كما عرفه العارفون،

---

(١) الحجر: ٩٩.

(٢) العبارة القادمة من حوار مع د. خاتمى، أجرته وأذاعته محطة «تلفاز المناره» اللبنانية - فى ديسمبر سنة ١٩٩٦م.

ويكون له وحده أن يقودنا إلى عالم ما وراء الطبيعة، بأن الوجود أكبر من المادة وأعم، وأن ثمة غيبا فى مقابل الشهود، وهى الأبواب التى يدخل منها القلب.

وإذا قبلنا بالعقل والقلب فإننا نستطيع بلوغ الإيمان، ولكننا إذا نبذنا العقل فلن نلبث أن نُخرج الدين من ساحتنا بعد مدة قصيرة، لأن العقل آلة لا تتيسر الحياة من دونها.. فنحن بالعقل نصل إلى أصل الوجود الغيبى، وبه نُرسِّخ الفهم عن الوصى[1]. ومن ثم تكفينا الرياضة ومجاهدة النفس للمضى قُدما نحو الحقيقة. بيد أننا عندما نريد فهم الكون والوحى فإننا نتوسل بالعقل وسيلة، ولكن مع ملاحظة أن استنتاجاته نسبية، الأمر الذى يحفظنا من الظن مثلا أن ما نفهمه من القرآن والسنة هو عين الحقيقة.

إن بوسعنا، فى أزمنة متعددة وفى أمكنة مختنفة، أن نصل بالعقل إلى أكثر من فهم للنص، وهو أمر يتفق وجوهر الدين الذى يؤكد أن فكرنا الدينى متطور ومتغير دائما..».

وغنى عن البيان، أن هذا الطريق - **طريق الوصول لا الفهم** - والذى سلكه ويسلكه أصحاب «**المذهب العرفانى**»، هو طريق حق وصعب فى ذات الوقت، لا ينكره عاقل، لكنه ليس الطريق العام الميسور الذى يستوعب الأمة.. **فالعقل الذى «تترطب» معارفه بالقلب، والقلب الذى تُضبط بواطنه وإلهاماته وهِباته بالعقل، هو طريق الشريعة والجمهور.. صحيح أن هناك من يصل إلى سقف**

(١) الوصى - فى عقائد الشيعة، التى يختصون بها، وتخالفهم فيها كل مذاهب أهل السنة - هو الإمام المعصوم.

الحقيقة المقدورة للإنسان بالعقل وحده.. ومن يصل إلى هذا السقف بالقلب وحده.. لكن هؤلاء وهؤلاء من الندرة بحيث يشير إليهم الزمان بأصابع الأجيال! - كما كان يقول الإمام محمد عبده . عليه رحمة الله.

● والدين - الذى خصه الدكتور خاتمى فى هذه الدراسات بمحاضرة كاملة - هو: المقدس، المتسامى، المتعالى . . وهو الفطرة التى فطر الله الناس عليها، والتى بدونها لا معنى لحياة الإنسان . . «فالدين توأم الإنسان، وأقدم الموجودات البشرية. وحياة الإنسان من غير دين ومن دون التسليم لأمر متعال وسام لا معنى لها.. فجوهر الدين مقدس متعال، ولو جُرد الدين من القداسة والسمو لخرج عن كونه دينا...».

● ولأن «الدين» وضع إلهى ثابت، ومقدس، ومتسام، ومتعال . . تميّز - فى الرؤية الإسلامية - عن «الفكر الدينى»، الذى هو اجتهادات بشرية - ظنية - والذى يمثل رؤية العلماء والمفكرين للوحى وللكون، ولعلاقة الأحكام بالواقع الذى يعيش فيه هؤلاء المفكرون والعلماء . «فالتمييز بين الدين وبين الفكر الدينى، ضرورة لتمييز «الإلهى» عن «البشرى»، والمقدس عن ما لا عصمة له، كما هو شرط للتطور الذى يواكب المستجدات والمتغيرات . ومن هنا تتلخص خدمة الدين . فى عصرنا . فى التمييز، بشجاعة، بين جوهر الدين كشأن مقدس ومتسام، وبين تصورات الإنسان عنه، والتى هى أمر محدود ونسبى ويدركها التغيير. وبذا تظل للدين منزلته المقدسة فى أعماق أفئدة المؤمنين، وتفتح، من جهة أخرى، آفاق التحول الإيجابى فى الفكر الدينى... وإذا حلّت التقاليد وحل فهم الإنسان

المحدود محل الموضوعات المقدسة والمتسامية، ففى هذه الحالة سيعد أى نوع من الاعتراض على هذا الفهم والعرف بدعة وخروجا على الدين، وعندها تُمسى محاربة المبتدع أمرا مقدسا وساميا...

● وتراث الأمة هو معين الهوية التاريخية والاجتماعية للحضارة والأمة ، وهو سبب تميز ثقافة الأمة عن ثقافات الأمم الأخرى . .

لكن هذا التراث يجب أن لا يكون عقبة أمام التغيير والتقدم والتجديد ، وإنما يجب أن يستند إليه ويرتكز عليه أى تغيير . . فلا يجب تحويل التراث إلى عقبة أمام التغيير . . ولا يصح أن يتم التغيير بمعزل عن التراث . . ذلك أنه «هو معين الهوية التاريخية والاجتماعية للأمم، وخاصة الأمة التى لها حضارة متميزة وثقافة غنية. فالتراث تجل" لثقافة المجتمع، ولا مجتمع من دون ثقافة... والقضاء على التراث يعنى مصادرة أساس الهوية التاريخية والثقافية للأمة والقضاء عليها.

وإذا ما قُدر لأمة أن تتغير، فإنه ينبغى لها فى البدء أن تستشعر وجودها وشخصيتها من خلال ارتكازها إلى هويتها التاريخية، لكى تتمكن من الانطلاق منها... ألم يستيقظ الغرب بفضل عودته إلى التراث، إذ عاد المفكرون إلى التراث اليونانى، الفكرى والفنى، وإلى تراث روما الاجتماعى، عصر النهضة، كما عاد المتدينون إلى ما كانوا يعتبرونه حقيقة دين المسيح الحقيقى، عصر الإصلاح، وكانت هذه العودة ذاتها مصدر إلهام لعصر البناء والإعمار.. فلا مفر من الاتكاء على التراث حتى فى الصراع معه.. والنهج السليم هو أن تكون لنا مساهمة واعية حذرة فى عملية التغيير والتحول، وفى إعادة صياغة التراث باعتباره موضوعا بشريا.. والحذر من اعتبار التراث أمرا مقدسا لا يحتمل التغيير...».

● أما «الحداثة» ـ التى شغلت فضاء ثقافتنا ، ودار الجدل حولها منذ أكثر من قرن من الزمان ـ فإنها هى ثقافة الحضارة الغربية الحديثة والمعاصرة ، التى تميزت عن ثقافتنا الإسلامية ، بل وعن ثقافة أوروبا فى العصور الوسطى الأوروبية ، «بالتمحور حول الإنسان» ، بدلا من «التمحور حول الله» .

«فالحداثة لفظ يراد به التحولات التى جرت فى الغرب فى العصر الأخير من تاريخ الإنسان، وبالتالي يمكن القول، بتعبير أدق، إن الحداثة روح الحضارة الجديدة، والثقافة المنسجمة معها.. فلكل حضارة ثقافتها التي تنسجم معها... والاختلاف والتباين بين ثقافتنا الحالية ـ التي تتمحور حول الله ـ وبين ثقافة الحداثة الغربية ـ المنسجمة مع الحضارة الغربية ـ التي تتمحور حول الإنسان ـ إنما هو اختلاف جوهرى فى جنس الحضارات..

لقد كانت ثقافة العالم الإسلامي وثقافة الغرب القروسطية، على نحو ما، نوعى جنس واحد، إن لم نقل إنهما صنفا نوع واحد، وكان أبرز وجوه الشبه بينهما هو محورية الله فى فكر الإنسان واعتقاده وفى نظامه الفكرى والأخلاقى والعاطفى.. ولقد حارب الغرب ثقافته القروسطية هذه، وكان من نتيجة حربه عليها ظهور حضارته الحديثة وثقافته الحديثة، التى تبوأ الإنسان سدة المحورية فيها.. فكان ذلك التحول ـ من محورية الله إلى محورية الإنسان ـ أبرز وجوه الاختلاف بين ثقافتنا وتقاليدنا الثقافية وبين ثقافة الغرب وحضارته الحديثة...»

● والتنمية ـ كما جاءتنا من الغرب . . وكما يطرحها ويتحاور فيها ويتجادل حولها مثقفونا الذين ينطلقون من منطلقات فكرية

واجتماعية واقتصادية وسياسية غربية . . . هذه التنمية - فى رأى الدكتور خاتمى - هى نموذج غربى متميز ، لأنها هى عطاء الحضارة الغربية ، ذات الثقافة الحداثية ، المتمحورة حول الإنسان ، بدلا من الله . . فنموذج هذه التنمية هو خصوصية غربية ، وليس بالنموذج العام أو العالمى ، الذى يجب أن تسلكه الحضارات والثقافات غير الغربية . . وإذا كانت «الحداثة» - أى الثقافة المتمحورة حول الإنسان - هى روح الغرب الحضارى ، فإن «التنمية» التى جاءتنا مع حداثته ، هى عطية هذا الغرب الحضارى ، دون غيره من الحضارات . .

«إن مجتمعاتنا بحاجة إلى التحول و التكامل. ولكن علينا أن نعلم أن التنمية، بمعناها الغربى، ليست أكثر من منهج فى التحول، ناهيك أنها ليست المنهج الوحيد.. ونحن اليوم نحيا فى عصر اتضحت فيه، أكثر من أى وقت مضى، نقاط ضعف الحضارة الحديثة وروحها: الحداثة، ليس خارج العالم الغربى فحسب، بل داخل الغرب أيضا. نحن نحيا فى عصر شكك الحداثيون أيضا فى شمولية الحضارة الغربية وقدرتها على تحقيق النهاية المرجوة، والأخذ بالبشرية إلى بر الأمان.

إن وعى هذا الأمر يقودنا إلى الامتناع عن التسليم الأعمى لمعايير التنمية الغربية.. إن التنمية التى تُطرح فى هذا العصر هى شأن غربى، وهى تنطوى على مفهوم صناعة أهل تلك الديار. فإذا كان المراد من التنمية مفهومها ذاك فلا مناص للراغبين بها من أن ينتحلوا الحضارة الغربية تلك.

أما بالنسبة لنا، فعندما نطرح السؤال المعهود:

- ماذا علينا أن نفعل فى مضمار التنمية؟

لا نستطيع، بل لا ينبغى لنا أن نعود القهقرى ٤٠٠ سنة إلى الوراء، أى إلى نقطة البداية التى انبثق منها الغرب حتى وصل إلى حيث هو.. وإنما علينا، إذا ما كنا أهل تدبر واعتبار، أن نشق طريقنا إلى المستقبل، بملاحظة التجربة الغربية، فنبذل العناية بمزاياها ونواقصها، كى نتوفر على اختيار الأفضل وبلوغه.. ذلك أن الشرط فى التحول الأساسى هو تجاوز الحضارة الغربية...».

● أما الحرية - التى يتحدث عنها الجميع . . ويشتاق إليها الكافة . . ويختلف حولها الأكثرون! فإنها تعنى - فى فكر الدكتور خاتمى - الحرية المسئولة عن ثوابت الأمة ، لا التى تعصف - باسم الحرية - بهذه الثوابت . . وهى أيضا تعنى المسئولية الحرة لتغيير واقع الأمة الذى لابد من تغييره وتجديده وتطويره ، وليست المسئولية التى توقف عجلة التغيير باسم الحفاظ على التراث . . إنها ليست مجرد كلمة تقال . . وإنما لها ماهية . . ولها نموذج . .

«فما تعنيه بالحرية، بشكل دقيق، هو حرية الفكر، وتوافر عناصر الأمن فى إبدائه، وتهيئة المقدمات اللازمة لتأمين تلك الحرية وضمان هذا الأمن.. إن التغيير والتقدم ينبغى أن يُسْبَقا بالفكر، والفكر لا ينمو إلا فى إطار الحرية وعلى أرضيتها.

إن تخريب الفضاء الحياتى باسم الحرية، ومناهضة الحرية باسم الدفاع عن الدين ومصلحة البلد، هما وجهان لعملة واحدة.. إننا اليوم، فى جامعاتنا وفى مدارسنا وفى بيوتنا، لا نتحمل بعضنا بعضا بسهولة وبساطة. فلا تشكو لحظة، فى أننا ما لم نتغير من داخلنا، لا يسعنا أن ننتظر حل مشاكلنا من قبل الآخرين..

إن السبيل المطلوب والصواب هو أن تصل نخبة المجتمع وأن يصل مفكروه والمسئولون الذين ينشدون الخير فى إدارة الأمور فيه، إلى ميثاق يتوافقون فيه على الآتى:

أولاً: علينا أن نكف عن البحث فى العالم المعاصر عن مثال وحيد للحرية يتحول إلى نموذج يُقْتَدَى، يصلح للتعميم على الأمم جميعا..

ومع أن جوهر الحرية واحد، لكن ما أكثر الأمم والشعوب التى تستطيع أن تجرب وجوها مختلفة للحرية بلحظ تفاوت الأوضاع التاريخية ـ الاجتماعية، حتى يكون لها خيارات مختلفة فى طى طريق الحرية وتحديد أولويات مراتبها.

ثانياً: علينا أن نسعى لخلق جو نستطيع فيه أن يتحمل بعضنا بعضا بسهولة، كما علينا أن نجتهد كى نصل إلى تعريف للحرية يرضى الجميع، وأن نتوافق على الحد الأدنى وعلى الأولويات، شرط أن نؤطّر ذلك قانونيا..»..

● ولما كان الدكتور خاتمى قد امتلك ناصية الرؤية الإسلامية، وآثر أن يرى الإسلام على خارطة العصر، لا منعزلا عن العصر.. ولما كان هذا العصر ـ بما فيه الواقع الإسلامى بل والفكر الإسلامى المعاصر ـ يعانى من الهيمنة الغربية، ويشتبك مع المركزية الغربية، ويتفاعل مع قطاعات من الفكر الغربى، ويجاهد ليدفع عن ذاتيته الثقافية قطاعات أخرى من الوافد الفكرى الغربى.. لما كان هذا هو حالنا مع الغرب ـ المتعدد الوجوه ـ والذى غدا ـ بعد قرنين من الاستعمار لأغلب أقطار العالم الإسلامى والهيمنة عليها ـ يعشش

داخل عقولنا ، وليس فقط محتلا لأراضينا . . كان لا بد للدكتور خاتمى من أن يعرض لموقفه من الغرب ، ورؤيته للتعامل معه . .

ولقد رأيناه يؤكد على أن الغرب ظاهرة مركبة ، يجب أن نتعرف عليها ، لا لنقلدها كلها ، وأيضا لا لنقاومها كلها ، وإنما لنقاوم سلبياتها ، ولنستفيد مما فيها من إيجابيات . . «فمن النادر أن تجد **شعبا أو بلدا غير غربى لم تُلهب ظهره سياط ظلم الغرب السياسى والاقتصادى، سواء فى صورته الاستعمارية القديمة. التى نهبت ذخائر الآخرين المادية والمعنوية، ودمرت البيئة، وأشاعت روح الإعلام الكاذب، والانتهازية، وأدت إلى أفول بريق الكثير من القيم الإنسانية والمثل المعنوية والأخلاقية من واقع حياة الإنسان الذى بهرته الدنيا. أم عبر نزعة التسلط المعاصرة التى تركبه وتسيطر عليه.**

بيد أن الغرب السياسى. الاقتصادى، ليس إلا وجها من وجوه الغرب؛ فالغرب بأجمعه هو حضارة ذات ثقافة خاصة، وهذه الحضارة وهذه الثقافة قامتا على مبادئ فكرية وقيمية خاصة، ومن دون التعرف عليها والإحاطة بها، تبقى معرفتنا بالغرب معرفة سطحية وظاهرية ومضلّلة..

وينبغى علينا التنبه واليقظة لدرء أخطار الغرب من جهة، والاستفادة من إنجازاته ومعطياته الإنسانية من جهة أخرى. وكل هذا ممكن إذا ما نضجنا فكريا وتاريخيا. ففى ظل ذلك تتوافر لدينا القدرة على التشخيص والانتقاء، ويتوافر قبولنا بمسئولية انتقائنا واختيارنا..» .

● ولذلك ، اهتم الدكتور خاتمى بالحديث عن المواقف الفكرية - التى تبلورت فى حياتنا الفكرية - إزاء الغرب . .

فأمام الحضارة الغربية ، وثقافتها الحداثية الوافدة إلى بلادنا ، فى ركاب الغزوة الاستعمارية ، تبلورت فى بلادنا الإسلامية تيارات فكرية ثلاث :

١ـ التقليديون ـ المتشبثون بالتراث : « وهم الذين أصروا دائما على التمسك بالتراث بكل أبعاده ووجوهه، أو لنقل، بتعبير آخر، أصروا على تقليدهم وتصورهم الذهنى وسلوكهم الذى اعتادوه، وكان بالنسبة لهم أمرا مقدسا فى مقابل التجديد أو الحداثة، واعتقدوا أن بالإمكان العيش فى إطار التقليد الضيق الموروث عمن سلفهم بإيصاد الأبواب فى وجه أمواج الحضارة الغربية وثقافتها المندفعة... ».

٢ـ والمتغربون ـ المقلدون للنموذج الغربى : « وهم الذين خيل إليهم أن الأزمة قابلة للحل من خلال قبول الحضارة الغربية بجميع أبعادها ومتطلباتها ومستلزماتها، بما فى ذلك ثقافة الحداثة.. وهؤلاء ـ بتحقيرهم للتراث واستهزائهم به، بدلا من تحليله ونقده ـ تجاهلوا نفوذه الراسخ، ولم يتمكنوا، فى أى وقت، من الحصول على مواطن قدم فى مجتمع يعى التراث ويأنس به.. فمكثوا فى عزلة موجعة، ولذلك تعلقوا ـ بدافع المحافظة على بقائهم ـ بأذيال الحكومات المستبدة، أو أمسوا، عمليا وعن وعى فى الكثير من المواقف، منفذين لتطلعات الغرب الاستعمارية فى بلدانهم... ».

٣ـ والإصلاحيون : الذين يتعاملون مع التراث ومع الغرب الحضارى بمنهاج نقدى . . جعلهم يجمعون ، بالتجديد ـ المستصحب للثوابت ، والمجدد فى المتغيرات ـ كلا من ميزات التقليديين وميزات الحداثيين ، دون سلبياتهما . . فهذا التيار الإصلاحى ينطلق من مبدأين :

«الأول: هو «العودة إلى الذات» وإحياء الهوية الثقافية. التاريخية لأمتهم وشعبهم.

أما الثانى: فيقول بـ«التعامل الإيجابى مع معطيات التمدن البشرى» وفى الوقت ذاته اتخاذ الحيطة والحذر فى مقابل نزعة الغرب التوسعية وتوجهه الاستعمارى».

ولقد حدد الدكتور خاتمى للإصلاح ـ الذى يعد نفسه واحدا من تياره ـ شروطا . . فالإصلاح عنده ليس مجرد فكر . . وإنما هو فكر تضعه «السياسة» فى الممارسة والتطبيق . . **«فالإصلاح لايتحقق إلا إذا تبعت السياسة والنشاط السياسى الفكر والحكمة، ولم يُبقيا نطاقا مفروضا على الأفكار»**.

والفكر، الذى هو شرط الإصلاح، لابد أن يكون فكرا مبدعا وإبداعيا، لا مجرد تكرار للإبداعات التى تجاوزها الواقع ونسخها التطور، وطوى العصر الجديد صفحتها . . بل إن الإبداع ـ عند خاتمى ـ هو شرط صمود الهوية فى المواجهات الحادة أمام التحديات الشرسة التى تواجهها حضارتنا وثقافتنا . . فالإبداع هو سبيل بلورة البدائل الإسلامية، التى نملأ بها فضاءنا الثقافى، حماية له من أن يملأه «الوافد» الضار! . . **«فالمجتمع الذى يفتقر إلى الفكر المبدع يفقد هويته فى أول مواجهة مع أية مشكلة»..!**



● وأخيرا . . . ينطلق الدكتور محمد خاتمى من هذه المعالم الفكرية، التى قدمها حول (الدين . . والتراث . . والحداثة . . والتنمية . . والحرية) إلى نظرة مستقبلية، تبشر بحضارة إسلامية

جديدة ، أو - بمعنى أدق - مستقبل جديد ، تتجدد فيه حضارة الإسلام وثقافتها الإسلامية . . فيقول :

«علينا، في سبيل تحديد معالم عصرنا الراهن، أن نتطلع إلى المستقبل، ولكي نتمكن من تصور مستقبلنا تصورا سليما ومقبولا، فلن يكون أمامنا خيار سوى أن نعي ماضينا ونألفه ونأنس به.. وأن نتسلح بنقد الحداثة والتراث معا، وأن نكون أصحاب رؤية جديدة في حياة الإنسان، في وقت نرتكز فيه إلى ماضينا الذي أنتج حضارتنا، وأن نستفيد - ونحن نتجاوز الغرب - من معطيات الحضارة الحديثة الباهرة، لاسيما وأننا نمتلك في التاريخ سابقة حضارية تركت بصماتها على مصير العالم والإنسان...».

فنحن «نتجاوز الغرب» ، دون أن ننغلق دونه فنرفضه جميعه . . و«نرتكز إلى ماضينا» ، دون أن نهاجر إليه . . وإنما لنقفز إلى مستقبل جديد ، تتجدد فيه حضارة الإسلام وثقافتها الإسلامية . .



تلك إشارات إلى أهم القضايا المحورية التى تناولتها الدراسات الثلاث التى كتبها الدكتور محمد خاتمى ، والتى نقدمها إلى القراء . . أما الآفاق . . والتفاصيل . . ولبنات هذه الرؤية - الإسلامية ، الموضوعية والمشرقة ، فإننا نترك القراء وإياها فى صفحات هذا الكتاب .

والله نسأل أن ينفع به . . إنه أفضل مسئول ، وأكرم مجيب .

دكتور / محمد عمارة

إلى القارئ العزيز ..

فى هذه السلسلة الجديدة :

إذا كان «التنوير الغربى» هو تنوير علمانى، يستبدل العقل بالدين، ويقيم قطيعة مع التراث ..

فإن «التنوير الإسلامى» هو تنوير إلهى، لأن الله والقرآن والرسول صلى الله عليه وسلم : أنوار، تصنع للمسلم تنويرا إسلاميا متميزا .

ولتقديم هذا التنوير الإسلامى للقراء، تصدر هذه السلسلة، التى يسهم فيها أعلام التجديد الإسلامى المعاصر :

- د. محمد عمارة
- المستشار طارق البشرى
- د. حسن الشافعى
- د. محمد سليم العوا
- أ. فهمى هويدى
- د. جمال الدين عطية
- د. سيد دسوقى
- د. كمال الدين إمام
- د. عبدالوهاب المسيرى
- د. شريف عبدالعظيم
- د. عادل حسين
- د. صلاح الدين سلطان

وغيرهم من المفكرين الإسلاميين ..

إنه مشروع طموح، لإنارة العقل بأنوار الإسلام .

الناشر

